رحلة الصحراء لابن الدين الأغواطي المعروفة ب: (الرحلة الأغواطية)[1] دراسة: طبيعية، اقتصادية، اجتماعية عمرانية

د. سياب خيرة
جامعة بشار

ملخص الموضوع

تعتبر الرحلة الأغواطية من أهم الدراسات التاريخية المتعلقة بفترة الكشوف الجغرافية والبعثات الأوربية التي أثرت في التمهيد للاستعمار خاصة الفرنسية والأمريكية، من خلال هذه الدراسة نبين الوضعية الجغرافية الصحراوية التي تناولتها الدراسة، مركزين في ذلك على مدلول الرحلات التي تكشف عن الجوانب الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات.

Al Sahara Journey of Ibn Al Din Alogoati known as: (Al Aghoatian Journey) 1
Study: natural, economic, social and architectural

Dr. Siyab Khaira Bechar University

Abstract

Al Aghoatian journey is considered as one of the most important historical studies relating to the period of the geographical bulletins and the European missions, that influenced on the preamble of colonization especially the French and the American one . Through this study, we show the Saharan geographical position covered by the study, Focusing on the meaning of trips that reveal the natural, economic and social aspects of the communities.

مفهوم الرحلة :

الرحلة مشتقة من الارتحال وهي تعني الانتقال من مكان لآخر؛ لتحقيق هدف معين، ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا،حيث تشكل مجالا مرجعيا مهما ومادّة أساسية أصبح الباحث يؤسس عليها معلوماته النظرية ، ويبني أفكاره التاريخية، وقد صنّف أغناطيوس كراتشكوفسكي الرحلة العربية أساسا ضمن " الجغرافيا الوصفية التي ترتبط بها ارتباطا وثيقا قصص الرحلات " [2]، فهي تتميّزبالغنى والتنوّع في مضامينها, وفي أشكالها ما يفيد بتشبيهها بفناء بيت تنفتح فيه ابواب حجرات متعدّدة [3]، إنّ هذا التميّز والغنى الذي يعتري الرحلة من شأنه أن يجعل دراستها تتّجه اتجاهات مختلفة تبعا لاهتمامات الباحثين،وتتعدد الدوافع التي تحمس الإنسان للرحلة، وتختلف من شخص إلى آخر،ومن زمن للآخر، إلا أنها في الأغلب لا تخرج عن أن تكون بسبب إمّا دوافع دينية أودوا فع علمية أو تعليمية أو دوافع سياسية أو حتى دوافع حربية :واقتصادية،إلاّ أنّه و بالرغم من الأهمية التي تحظى بها هذه المصادر إلا أنّ الاعتماد على ذلك الكم من المعلومات الوارد في كتب الرحلات و الذي يشمل في مجمله المجالات التاريخية في كافة مناحيها،يطرح لا محالة بعض الإشكالات سواء على مستوى المعرفة أو المنهجية، ومن بين أهم هذه الإشكالات التي تطرحها مصادر الرحلة ، هو مدى تحري مؤلّفيها الصدق والحقيقة في كتاباتهم التاريخية؟ ثم ما الدافع الأساسي للرحلة في حدّ ذاتها؟خاصّة في العصر الحديث.

ومن بين الرحلات التي اخترنا لهذه الدراسة رحلة ابن الدين الاغواطي[4] هذه الرحلة التي يبدو أنّها لا تزال بحاجة إلى عناية الباحثين في المجال التاريخي،خاصة وأنها اقترنت بفترة كان للكشوف الجغرافية والبعثات الأوربية أثرها في التمهيد للاستعمار خاصة الفرنسية والأمريكية منها، يقول الدكتور أبو القاسم سعد الله [5]:"لقد مرّ عثورنا على هذه الرحلة

بمراحل لا بدّ من ذكرها، فأثناء مطالعتي لحياة وأعمال القنصل الأمريكي في الجزائر وليام شلير[6] ، وجدت إشارات قادتني إلى حياة خلفه في المهنة و هو وليام هودسون ، ومن خلال تتبعي لحياة ونشاط هودسون، وجدت ما ترجمه من رحلة ابن الدين الأغواطي ، وهكذا اتصلت بأحد المؤلّفين الجزائريين في الجغرافية والتاريخ عن طريق أحد قناصلة الولايات المتّحدة في الجزائر"، لقد تم العثور على المخطوط [7] من قبل المرحوم أبو القاسم سعد الله وقد ذكره في كتابه [8] " تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هجري" سنة 1985م،كما ذكره في كتابه [9] "أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر"سنة1990م،ثمّ قدّمه بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011م في طبعة خاصّة.

وصف الطبيعة الجغرافية للصحراء :

يلاحظ القارئ في الرحلة المقتضبة للصحراء أنّ ابن الدين رغم ما أحاط رحلته من الغموض وصفه الشامل للمدن الصحراوية سواء كانت عبارة عن مدن أو قرى، حواضر أو بوادي، وقد أحاطتوصافه لهذه الأقاليم مجالاتها الحضارية وأخبارها السياسية،بالإضافة الى المسح الجغرافي فيما يتعلق بالمناخ و المياه والوديان والطرق ..الخ , ومما يوقفنا عليه وصفه لمدينة الأغواط " إن مدينة الأغواط بلدة كبيرة ، وهي محاطة بسور وحولها تحصينات ، ويقسم وادي مزي الأغواط إلى شطرين، وهو يجري وسطها،وهذاالوادي مشهور في الناحية .."[10] ، ويصف في نفس الرحلة جبل عمور " إنّ جبل عمور عال جدا وفيه مائة عين جارية ، وينبع منه نهر كبير يسمى نهر الخير وهو مشهور عند الجميع ، ويقدر طوله بحوالي مساحة يومين لكل منهما .." [11] وفي سياق الحديث عن عن الرحلة من الأغواط إلى

متليلي يعدد الكثير من المحطات التي لا بدّ من المرور بها للوصول إلى متليلي بقوله : " إن المسافة بين الأغواط ورأس الشعب يوم واحد , وأيضا من رأس الشعب إلسافل الفيآض مسافة يوم واحد , وليس في هذا المكان ماء , أيضا ومن هناك إلى الخدم مسافة يوم واحد أيضا .. ومن هناك إلىاللفعات .. ويوجد هناك جبلان كبيران من الصخور ومن اللفعات يعمل المرءإلى متليلي .."[12] ولقد أحيطت متليلي ب " أسوار و ليس لها ماء باستثناء ما يستخرج منها بالطواحين , ووجه الأرض هنا ليس رمليا منبسطا بل هو عبارة عن هضاب مغطاة بصخور حادّة تقطع كالسكاكين .. وقلّما ينزل المطر .. وتقع هضاب وادي ميزاب شرق متليلي ".[13]

ويتربع وادي ميزاب على حسب المسح الجغرافي للمنطقة على " ستة بلدان وقرى أكبرها غرداية ..ولا يستخرج الماء إلاّ من الأبار , وغرداية لها سور .." [14] و يطمئن ابن الدين من يرغب في الرحلة على الأقل في عصره على أنّ القاصد إلى إلى الصحراء سيجد فسحة في المسير من متليلي إلى المنيعة من خلال رصده لعامل مهم على مواصلة الرحلة وهو وجود الماء عبر هذه المسافة فحينا يصل الرحالة من متليلي إلى الثماد يجد بئر للماء عمقه عشرون ذراعا , وأمآ المحطتان الأخيرتان بين الشارف والمنيعة فهما السعداني و وادي الشهب , وفي السعداني بئر للماء ونبات الحلفة , وأما وادي ى الشهب , فلا وجود للماء (حيث تقع (المنيعة) وسط الرمال , وليس بها ماء باستثاء ما يجلب لها من الآبار "[15]

كأن ابن الدين يكاد يساير ابن بطوطة [16] في كتابة فصول رحلته , حينما يصف المسافة التي تفصل ورقلة [17] عن المنيعة بقوله : " والمسافة بين المنيعة وورقلة خمسة أيام , وورقلة مدينة كبيرة جدآ .. ويدخل في نطاق ورقلة مكان يسمى الشط , كما يمكن للعين

أن ترى القرى الآتية من ؟أعلى منارة في ورقلة , وهي الرويسات , وعجاجب , ومقوسة , أما جنوب ورقلة فهو كلّه رمال لا نهاية لها.." [18] , ويكتفي ابن الدين في المسح الجغرافي لمدينة تيميمون بالقول " إنّ تيميمون بلدة كبيرة .." [19] , وقبل الدخول إلى بلاد السودان يوقفنا ابن الدين على أخر بلد و هو القرارة ".. ويضم حوالي عشرين قرية .. وعلى مسافة عشرين يوم تقع شنقيط "[20]

الجوانب الاقتصادية في الرحلة الأغواطية:

لم يتوانى ابن الدين في تظمين الرحلة الأغواطية رغم قصر ماوصل إلينا منها في الحديث عن المجال الاقتصادي للمدن التي زارها على اغلب الظن، حينما يوقفنا على بعض المسائل المتعلقة بهذه الجوانب بقوله واصفا منتجات الأغواط الزراعية:" وهي تنتج الفواكه بكثرة, ومن بينها التمر, والتين والعنب, والسفرجل, والرمان و الأجاص, أما العملة المتداولة فيها فهي عملة الجزائر وفاس, والتجارة فيها رائجة" [21], أما مدينة تجمعون فكأنه أحالنا إلى أهم مصدر اقتصادي لها يتمثل في الملح بقوله: ".... وهناك أيضا جبل من الملح بالقرب من جبل عمور.."[22]

ولخص الكلام في هذا المجال عن مدينة عين ما ضي في بقوله: " ..... ولحاكمها الذي يسمى ولد التيجيني, حوالي مائة عبد وخزنة مليئة بالنقود..." [23] وقد استطرد ابن الدين الأغواطي الكلام في توصيفه لبعض المجالات الاقتصادية لإقليم جبل عمور:" فيه مائة عين جارية, وينبع منه نهر كبير يسمى نهر الخير وهو مشهور عند الجميع, وأرض الجبل صالحة للزراعة وفيه كل أنواع الخشب.. والسكان هناك يربون الإبل, وبعضهم يربي المعز والغنم..."[24] وحول الموضوع ذاته يعمم ابن الدين مسألة اقتصادية على عامة أهل الصحراء

حينما يسرد لنا طرقهم في صناعة البارود بقوله:" وجميع سكان الصحاري يعرفون صناعة البارود, وطريقتهم فيه هي هذه: يجمع التراب من الأرض أو من الملاط في القرى المهدمة وهذا التراب الذي كان في الأصل من مالدة مالحة يوضع في ماعون ويصب عليه الماء, بنفس الطريقة التي يعالج بها الرماد عند صناعة الصابون, ثم يغلي الماء إلى أن يصبح فائرا, ثم يؤخذ رطلا منه ويخلط بأربعة أرطال من الكبريت, وأربع أرطال من الفحم المستخرج من شجرة الدفلى, وهذه العناصر المختلفة تخلط جميعا في غضون أربع ساعات فتصير بارودا, وفي الصحراء منجم من الرصاص, والعرب يأتون منه بكميات لبيعها, ولا يقع هذا المنجمتحت سلطة أية قبيلة, وهو يقع شرقي أولاد نايل ويسمى جبل الرصاص "[25] وحينما يسلك ابن الدين طريقه من ورغلة إلى توات عبر محطات عديدة لقرى ومدا شر, يعطي صورة شبه باهتةعن الحالة الاقتصادية في هذه الأقاليم إلا أن إحصاءه لعدد من أبار الماء وطريقة إنباط مياهها, وتحدثه في كثرة أشجار النخيل بور قلة يوحي بأن الزراعة السقوية هي أساس هذه المناطق المعتمد على الري حينما يقول: ".. وتبح ورقلة بأشجار النخيل.."و"لورقلة منابع كثيرة" [26] كما يوقف ابن الدين الباحث في الرحلة على سلسلة أبار مياه تتوزع على مسافة يوم بين كل منطقتين زارها عبر الرحلة الورقليةالتواتية

وقد حضيت مدينة تيميمون من خلال رحلة ابن الدين بنصيب الأسد في الوقوف على جوانبها الاقتصادية ومما ذكر عنها: ".. ولها سوق عظيم, وفيها التمر بالإضافة إلى غيره من الثمار وفيها مياه غزيرة, ويوجد فيها أيضا الشب الأحمر, وأغنامها مثل أغنام السودان.. وتوجد فيها الخيول بكثرة, ويصل الماء إلى وسط البلدة حيث يحضرونه في الأنابيب(القنوات), ولها سوق يباع فيه العبيد, وتراب الذهب بكميات كبيرة ويباع تراب

الذهب بوزن المثقال بالأوقية... وأهلها يملكون قطعانا كبيرة من الماشية, وللطوارق تجارة معهم..."[27]

وقد نوه ابن الدين باعتماد أهل القرارة عملة فاس في المعاملات التجارية ".. والعملة المتداولة هي عملة فاس.."[28] وقد تعامل أهل صحراء شمال إفريقيا مع السودان في جوانب اقتصادية مختلفة :"... إن البضائع المستوردة من السودان هي العبيد وتراب الذهب(التبر) وفي مقابل ذلك تصدر توات والقرارة الحرير والحديد والزجاج وأمثالها من السلع"[29] وفي إشارة إلى ظاهرة اقتصادية بالصحراء هو متاجرة أهل وادي سوف بالعبيد مع غدامس حيث:"..وبعض السكان جعلوا من هذه التجارة حرفة بحيث يذهبون إلى السودان مع التجار من غدامس, وذلك بهدف جلب العبيد وفي(غدامس) سوق عظيم"[30]

صورة المجتمع الصحراويمن خلال الرحلة الأغواطية:

ضمن ابن الدين رحلته بالكلام عن المجتمع الصحراوي من خلال نماذج المدن والقرى التي جاء ذكرها في الرحلة في مواضيع مختلفة, وورد العنصر البربري بشكل يكاد يعطي صورة واضحة عن الانتشار الواسع لهذه الشريحة الاجتماعية في بلاد المغرب وعبر صحراءه كما جاء حديثه عن الجوانب الاجتماعية مرفقا بالعادات والتقاليد واللباس والقبائل والنساء واللغة...إلخ فحين يخبرنا عن الأغواط يقول:" .. ولغة سكانها العربية, وهم يرتدون الملابس الصوفية ولا تخرج فيها النساء المحترمات من بيوتهن أبدا (حسب ثقافته), ولكن غيرهن يظهرن في الشوارع.. أما السكان فهم فريقان: فريق يسمى الأحلاف .. وفريق يسمى أولادسرقين, وهمغالبا في حالة حرب بينهم .. وسبب الخصومة بينهم على العموم هو رفض فريق منهم طاعة شيخ البلدة..." [31] وقد كان أهل تجمعوت على نفس الظاهرة "..

وينقسم سكان هذه القرية إلى فريقين, وليس لهم رئيس أو حاكم, وهم يتحاربون بينهم كما يفعل أهل الأغواط..."[32] وفي عين ماض " تظهر النساء في الشوارع.." [33] أما في متليلي فيوقفنا ابن الدين على لغة سكان الإقليم بالقول:".. ولغة السكان العربية والبربرية وهم يركبون الجمال..." وهي لغة أهل ميزاب:" ... ويتكلم السكان فيها البربرية" [34]وعن سكان المنيعة فهم " يتكلمون العربية ويركبون الجمال وليس لهم خيول, ولباسهم من الصوف... والنساء كالبدويات يذهبن إلى الآبار ويسقين الماء, ثم يحملنه على ظهورهن في القرب..."[35] أما في ورقلة فإن السكان فيها ينقسمون "..بين ثلاث عروش هم: بنو واقين, وبنوإبراهيم, وبنو سيسين, ولغتهم البربرية وسكان ورغلة يسمون الرواغة, ولونهم أسود ولباسهم من الصوف والقطن.."[36]

وعن انتشار اللغة البربرية في الصحراء يؤكد ابن الدين ذلك من خلال وصفه لمدينة تيميمون:"... وأهلها يتكلمون البربرية... ويختلف لون بشرة السكان, فهناك البشرة البيضاء والحمراء والسوداء, وهم يلبسون الثياب الصوفية والقطنية مع ساي أسود اللون.. وهم مسلمون صادقون يؤدونالصلاة, ويدفعون الزكاة ويقرؤون القران" [37] وقد تكلم أهل أولف اللغة البربرية هم أيضا ".. والسكان فيها (أولف) يصومون ويصلون ويقرؤون القران ويزكون وهم تحت نفوذ سلطان أولف, ولغتهم البربرية"[38] وهي لغة أهل القرارة فيما ذكره ابن الدين في الرحلة:".. ويلبس السكان (سكان القرارة) ثيابا من الساي الأسود ومن الصوف ولغتهم البربرية ولونهم يميل إلى السواد.."[39] وتكلم أهل وادي سوف اللغة العربية ".. وهم يتكلمون العربية وأهل سوف يتمتعون باستقلال كامل ، ولم يطيعوا أبدا أي سلطان.." [40] إذ يظهر ذلك من خلال خروج نسائهم إلى الشوارع والأسواق من خلال ما جاء في الرحلة "..

ونساءهم يذهبن إلى السوق غير محجبات, كما يظهرن في البساتين.." [41] لم يخفي ابن الدين في وصفه للمدن والمد اشر والقرى شيء جوانب هذه التجمعات السكانية وخاصة مظاهرها الاجتماعية حيث يوقفنا بالحديث عن غدامس عن لغة وتقاليد والمستوى الثقافي للسكان فيها حينما يقول:" وغدامس بلدة كبيرة... وسكانها يتكلمون البربية, ولباسهم من الصوف والقطن, وبشرتهم سوداء, ونساؤهم محجبات, وفي غدامس عدد كبير من العلماء والطلبة...والنساء يطحن الحبوب في بيوتهن لعدم وجود طواحن عامة) وفيها عدد كبير من العبيد.."وجاء وصفه للطوارق على أنهم " أناس أشداء ولهم بشرة شديدة البياض, وطعامهم من اللحم والحليب... وهم يرتدون الساي القطني الأسود وسراويلهم تشبه سراويل المسيحيين... وهم يتلثمون بلثام من القطن, ولا يأكلون ولا يشربون بحضور الناس..."[42]

أما عن الجوانب الاجتماعية لإقليم تقرت فيحيلنا ابن الدين إلى قوله:" .. وفي تقرت جماعة من الناس يسمون المجاهرية, وهم يقطنون حيا خاصا في البلدة, وقد كانوا في القديم يهودا, لكنهم اعتنقوا الإسلام... وهم الآن مواظبون على قراءة القران ويحفظونه عن ظهر قلب.. ويستطرد ابن الدين في وصف المجاهرية إلا أن يقول:...ومن النادر أن يتزوج عربي بامرأة من المجاهرية.. لهؤلاء (المجاهرية) ثروة هائلة, ونساؤهم تظهر في الأسواق محجبات, ويتحدثن بالغبرية بينهن عندما يرغبن في إخفاء موضوع الحديث"[43]

الجوانب العمرانية في الرحلة الأغواطية:

لقد اهتم ابن الدين بهذا الجانب في الرحلة حينما وقف بوصف الأسوار والمباني ، وحفر الآبار، وحفر القنوات ، وتحصين البلدان في المناطق التي شملتها الرحلة بالمسح, فهو حينما يصف الأغواط يقف عن ذكر هذه الجوانب:" إن الأغواط بلد كبير محاطة بسور,

وحولها تحصينات, ولها أربعة أبواب, وأربعة مساجد.. وليس في هذه البلدة حمامات... وتوجد شرقي الأغواط أثار بلدة قديمة كان أمراؤها مسيحيين_يقول سعد الدين لعله يقصد الروم أو الرومان _ وإلى هذه الأيام يرى المشاهد كثيرا من النقوش في هذه الآثار"[44]وقد بنيت بلدةالأغواط من الطين بالدرجة الأولى ، غير أن المنازل مبنية بالحجر والملاط ، وليس للمساجد فيها منارات، كما ليس لهذه البلدة مكان مخصص للسوق ،وليس بها حمام.. ولا تقترب العقارب ولا الطاعون منها لأنها مبنية في موقع مفضل..." [45] وقد بنيت تجمعوت بنفس مادة بناء مدينة الأغواط " وبيوتهم (أهل تجمعوت) مبنية بالحجر والطين"[46]

أما عين ماضي فقد أحيطت " بأسوار تبه أسوار طرابلس, ولها بابان عظيمان– قام حاكمها بغزو وهران فاحتل معسكر لكنه قتل من قبل باي وهران.." [47] وقد ضمت مدينة غرداية ".. ألفين وأربعمائة مسكن, بما في ذلك المساجد.. وغرداية لها سور, ولها سوق كبير ومنارتان وبوابتان في السور..."[48] وقد اتخذ أهل ورقلة لمدينتهم سور لتحصينها ".. وورغلة بلدة كبيرة جدا ، ولها سور يحيط بها فيه عدة أبواب... والماء يجلب (إليها) ب: حفر البئر على عمق مائة وسبعون ذراعا... ويصبح (الماء) جدولا جاريا"[49]،وليس بالضرورة أن يكون بناء الأسوار للمدن الكبيرة فقد كانت تيميمون بلدة كبيرة ولكن ليس لها أسوار تحميهالان منازلها جميعا متراصة, ولها سوق عظيم... ومنازل تيميمون مبنية بالطين أو الطوب, ولها أربعة مساجد.."[50] أما مدينة أولف فنظرا لاحتلالها المركز الرئيس في إقليم توات فقد كانت " محاطة بأسوار مبنية بالطين...(وكذا) جدران المنازل مبنية بالطين.. وفي توات عدد من المساجد "وقد تربعت تقرت على " سوق عظيم جدا.. لها نفوذ على أربع وعشرين قرية, وهي تحتوي على حوالي أربعمائة منزل, ومحاطة بأسوار ولها أبوابّ, وهذه الأسوار محاطة

بدورها بخندق يمكن مقارنته ببحر من الماء... وعلى هذا الخندق ثلاثة جسور ولمساجد تقرت منارات عالية جدا..."[51].

ما يمكن تسجيله حول هذه المعالم الاجتماعية والجغرافية والاقتصادية والعمرانية هو سؤال يمكن أن يستجيب البحث له حينما تتوفر مصادر حول هذه الرحلة أولا وحول شخصية ابن الدين ثانيا إذا يمكن حصر ذلك من خلال عدد من النقاط:

أ-إن الدقة واضحة في كثير من القضايا بسرد تفاصيلها في هذه الرحلة ومعاينة عناصر تركيب رحلته على الأقل بصحراء شمال إفريقيا.

ب_إن قصر مادة الرحلة، لعل فيه بعدا فكريا (سياسيا) في كتابة النص بطلب من القنصل الأمريكي وليام.بهودسون."

ج_إن كان الوصف بهذه الدقة لبعض أقاليم الصحراء ، فإن لم يطبق في منهج ابن الدين على الرحلة الدرعية (الحجازية) فجاء الكلام جد مقتضب ، ويحيلنا هذا إلى هدف المستشرق الأمريكي من الرحلة ذاتها (والمتمثل في معرفة معلومات أكثر عن الانتشار البربري بإقليم الصحراء).

د_لقد توفرت الرحلة على ذكر تفاصيل جعلت من الرحلة محط أنظار المستشرقين في القرن التاسع عشر فترجمت إلى الانجليزية ثم الفرنسية لأهداف سياسية جعلت المنافسة حادة بين الأمريكان والفرنسيين في حمل مادة الرحلة محمل الجد، وتأخر الباحثون المغاربة في تحقيقها إلى أن وقف عليها المؤرخ المرحوم أبو القاسم سعد الله فترجمها للمرة الأولى بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011 ويبدو أن تراثا كبير في إقليمنا لا يزال لم يرى النور بعد، ما دام أن الرحلة الأغواطية التي يرى البعض أنها يمكن أن تكون أطول مما

ذكر، ولعل ابن الدين قدم جزء منها فقط حينما عرض عليه القنصل الأمريكي ثمن مقابل المعرفة بهذه المدن والقرى الصحراوية فاكتفى بهذا الملخص الذي احتوى على أربعة عشرة صفحة فيما ذكره أبو القاسم سعد الله رحمه الله.

نقد المؤلف

لقد أشار أبو القاسم سعد الله على أن الرحالة ابن الدين لم يكن صاحب علم واسع، حيث يبدو من خلال المحقق انه كان مستمعا، لا يدقق بل يجمع المعلومات والمعارف من دون تمحيص،إلا أنه يستطرد قائلا أن إطلاع الرجل الواسع، واضح من خلال تلك الخبرة بالمناطق التي وصفها ويغلب الظن على أنه قد زارها بنفسه.

علاقة هودسونبابن الدين الأغواطي:

من خلال أبو القاسم سعد الله ف إن هذه العلاقة يشوبها نوع من الغموض من خلال هذه الأسئلة:

- هل التقى هودسون بابن الدين؟
- هل زار هودسون الأغواط؟
- لماذا أشار هودسون على ابن الدين بكتابة رحلته؟
- هل أن نص الرحلة كان طويلا وتم اختصاره لهودسون؟
- لماذا احتاج هودسون لنص الرحلة الأغواطية فقدم أجرا لابن الدين من اجل تقييد معلومات الرحلة؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة قدتمكن الباحث أن يستشف من خلالها موضوعا متكاملا عن دور الإستشراقفي التمهيد للاستعمار أولا،وأهمية الرحلات المغربية من خلال

توظيفها في الدراسات التاريخية ثانيا.

ـ إن تقييد تاريخ الرحلة لم يكن دقيقا ويمكن حصره بين تاريخ تواجد القنصل الأمريكي في الجزائر بين 1825م و 1929م.

ويبدو أن نص الرحلة الذي كان من اهتمامات هدسون هو أنهذا الأخير بالإضافة إلى خروجه من أمريكاإلى الجزائر في إطار مهمته السياسية ، حيث كان ينشط ضمن الجمعية الفلسفية الأمريكية التي كان مقرها بمدينة فيلادلفيا ،إذ بمجرد رجوعه إلى بلده بعد 1829 ألقى بحوثه عن شمال إفريقيا ولغته وأهلهوجغرافيتهأمام هذه الجمعية الأمريكية التي نشرت له هذه الأعمال والتي كان أهمها الرحلة الأغواطية.

تعرف هودسون على اللغة البربرية واعترف في غير مرة أنه كان مهتما بجمع المعلومات عنها.

" هدفي الأساسي من الحصول على هذا المخطوط هو التأكيد على امتداد رقعة اللغة البربرية " وقد أشار إلى أن الرحلة الأغواطية حصل من خلالها على معلومات لم يسبق للأوروبيين أن عرفوها.."

ولذلك يمكن أن نشير إلى أهمية الرحلة في:

أـ كون أنها نشرت لأول مرة في أمريكا حوالي 1831م حيث ترجمت من العربية إلى الانجليزية.

ب ـ كون أنهانشرت لثاني مرة في فرنسا من قبل: (d'avezac)دافيز من الانجليزية إلى الفرنسية سنة 1922م في إطار جمعية مهتمة بمثل هذه الدراسات وهي الجمعية الجغرافية الفرنسية بباريس, وقد نشرتها قبل دافيز مجلة أخبار الرحلات الجديدة

بالفرنسية.

الهوامش:

1- قام بترجمتها إلى الانجليزية القنصل الأمريكي هود سون:حيث جاء إلى الجزائر سنة 1825م لكي يساعد شيلر في مهمته كقنصل عام لبلاده في الجزائر، وكانت خبرة هود سون باللغات الشرقية هي التي أهلته لهذه المهمة، وكان الهدف من وجوده رفقة شيلر أيضا تدريبه على الخدمات الدبلوماسية، وقد بقي هود سون في الجزائر إلى سنة 1829م، وأثناء هذه الفترة كرّس جهوده، مثل شيلر أيضا، لإتقان العربية والتركية والتعرف على البربرية وجمع المعلومات حولها ومقارنتها بما كتب عنها الأولون وباللغات الأخرى من فينيقية وعربية وغيرهماويهمنا من هذا التاريخ أن (2) هودسون قد تعرف على الحاج ابن الدين بين سنوات – 1825 1829م. موقع النت *http://albordj.blogspot.com/2013/03/blog-post.html*

2- تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمه من الروسية : صالح الدين عثمان هاشم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، 1987، ص:20.

3- محمد حاتمي، تقال بعنوان " في الخطاب الرحلي" الموقع الإلكتروني:
http://www.aljabriabed.net/n87_05hatimi.htm#_edn14

4- الحاج ابن الدين الأغواطي : يبدو أن ابن الدين ينتمي إلى الزاوية الناصرية بناحية الاغواط ، حيث تعتبر هذه الزاوية فرع من فروع الطريقة الشادلية و التي تنسب إلى مؤسّسها الشيخ محمّد بن ناصر الدرعي وهو والد الشيخ أحمد بن ناصر صاحب الرحلة الناصرية ، الذي سمحت له رحلة الحج و المرور على الأغواط مرّتين (1865-1709) أن يكسب أتباعا ومردين ومنهم جد ابن الدين الأغواطي , ومن بعده الحفيد ابن الدين وغيرهم ..فكان من بين الذين ألّفوا في هذه الطريقة ومن بين المؤلفات التي تنسب له حسبما جاء في كتاب " الحركة الإصلاحية في الاغواط "لصاحبه محمود علالي :كتاب " الإبريز المنسبك في تفضيل أللآدمي على الملك " ، وكتاب " رسالة الدرية في جواب من سأل عن الحقيقة المحمدّية ". ينظر: مقال بعنوان الزاوية الناصرية بناحية الأغواط،مقتطفات من كتاب الحوكة الغصلاحيةبالاغواط لصاحبه، علالي محمود، على الموقع الإلكتروني :*http://www.sidielhadjaissa.com/article-45811960.html*

5- أ.د. أبو القاسم سعد الله من مواليد 1930 م بضواحي قمار بولاية وادي سوف ، الجزائر ، باحث ومؤرّخ حفظ القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم من لغة وفقه ودين ، ويعتبر من رجالات الفكر البارزين ، ومن أعلام الإصلاح الاجتماعي و الديني ، له سجّل عامي حافل بالانجازات : من وظائف و ومؤلّفات ، وترجمات ....عرف بلقب شيخ المؤرّخين الجزائريّين...الخ: ينظر تقديم المرحوم أبو القاسم سعد الله : السيرة الذاتية التي نشرت بمناسبة تكريمه في معهد المناهج على الموقع
http://montada.echoroukonline.com/showthread.php?t=11090:

6- سياسي و كاتب ومفكر أمريكي مشهور ولد سنة 1778م أو حوالي سنة 1773م على اختلاف الروايات في مدينة بريج بورت *Bridjport* بولاية كونتيكت *Connecticut* ،ابن تيموتيشالر وسيبال وارنر (شالر)،انخرط في بحرية الولايات المتحدّة في مرحل الشباب برتبة ضابط بين سنتي1803 . 1808م ما أعطاه علما واسعا وخبرة كبيرة في وصف البلدان جغرافيا وتحديد مواقعها الفلكية بمنتهى الدّقة ..،اشتغل في السلك الدبلوماسي كقنصل عام في هافانا عاصمة كوبا قبل سنة 1812م ، ثمّ تحوّل إلى الجزائر كمفاوض ممثل لبلده في معاهدات الصلح ثمّ كقنصل عام للولايات المتحدة في الجزائر من1816م إلى غاية 1824م ليعود بعدها إلى هافانا / **ينظر**: مقال للباحث بودفلة فتحي :بعنوان" قراءة في مذكرات القنصل العام الامريكي وليام شالر في الجزائر 1816-1842" على الموقع الإلكتروني:
http://vb.tafsir.net/tafsir23683/#.VF6eFGf8bFw

7- "وعلى كل حال فإن هودسون لم يفصل الحديث في علاقته الشخصية بالحاج ابن الدين: لماذا سأله هو بالذات كتابة رحلته؟ هل لأنه يعرفه مُطّلعا دون غيره، على أحوال الصحراء وأهلها ولغتها؟ هل ذهب هودسون إلى الأغواط فالتقى به؟ أو هل جاء الحاج ابن الدين إلى مدينة الجزائر فالتقيا ؟ وهل كتب الحاج ابن الدين عملا كبيرا فاختصر منه النص الذي قدمه إلى هودسون وكيف دفع هودسون ثمن المكتوب؟ كل هذه الأسئلة تدور بالخاطر عندما يقرا المرء النص الذي نحن بصدده ويعرف الظروف التي كتب فيها، ولكن معظمها يظل بدون إجابة"، ينظر: كتاب رحلة ابن الدين الأغواطي تحت عنوان "مجموع رحلات"تأليف وتحقيق أبو القاسم سعد الله ، المعرفة الدولية للنشر الجزائر، طبعة خاصّة،2011، ص 81.

8- د. أبوالقاسم سعد الله:تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هجري"، ج:2،ط2،الجزائر،سنة 1985، ص 401.

9- أبوالقاسم سعد الله:أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر . الجزء الثاني , الطبعة الثانية دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1990، في الصفحات : 257- 258.

10- الرحلة / ص 87 .

11- الرحلة / ص 89.

12- الرحلة / ص89

13- الرحلة / ص90.

14- الرحلة / ص90.

15- الرحلة الأغواطية / ص 91.

16- يصفها " الإدريسي " بأن هذه المدينة سكنتها عائلات ثرية وتجار مفاوضون جعلوا من التجارة أداة لقطع المسافات والتوغل داخل إفريقيا السوداء (غانا ، وأنغرا) وهي الأماكن التي يجلب منها الذهب ويضرب في مدينة ورقلة,

17- اعتبرت ورقلة في بعض المؤلفات ضمن بلاد الجريد، يقول صالح باجية:"... أغلب سكان الجريد

يرجعون إلى قبيلة نفزاوة الراجعة إلى مادغس الأبتر... والملاحظ أن القبائل البربرية التي توطنت بالجريد قد امتازت بالصولة وقوة الشوكة ، لذلك توافر زعماؤها وقوادها الحربيون الذين لعبوا دورا تاريخيا هاما لا في هذه المنطقة فحسب بل في المنطقة الممتدة من جبال الأوراس إلى آريغ و وارجلان ، ومن افريقية التونسية إلى جبال نفوسة"... صالح باجية: "الاباضية بالجريد التونسي " دار النشر بوسلامة ط 1 تونس 1976 ص 14 و 16

18- الرحلة الأغواطية / ص92.

19- الرحلة الأغواطية / ص93.

20- الرحلة الأغواطية / ص94.

21- الرحلة الأغواطية / ص 87-88.

22- الرحلة / ص 88.

23- الرحلة / ص 88.

24- الرحلة / ص 89.
25- الرحلة / ص 90 -91.
26- الرحلة / ص 92-93.
27- الرحلة / ص 93.
28- الرحلة / ص 94.
29- الرحلة / ص 95.
30- الرحلة / ص 96-97.
31- الرحلة / ص 87.
32- الرحلة / ص 88.
33- الرحلة / ص 89.
34- الرحلة / ص 90
35- الرحلة / ص91.
36- الر حلة / ص 92.
37- الرحلة / ص 93.
38- الرحلة / ص 94.
39- الرحلة / ص 96.
40- الرحلة / ص 96.
41- الرحلة / ص 96.
42- الرحلة / ص 98-99.
43- الرحلة / ص 100
44- الرحلة / ص 87.
45- الرحلة / ص 88.
46- الرحلة / ص 88.
47- الرحلة / ص 88-89.

48- الرحلة / ص 90.

49- الرحلة / ص 92.

50- الرحلة / 93-94.

51- الرحلة / ص 100.